ليالي الاحساء الرمضانيه

كتبت هذا المقال وأنا في بحر كرم جيراني حيث لا تمر لحظة في هذا الشهر الفضيل إلا وأشعر بدفء المحبة التي تسري بين البيوت كما تسري نسائم شهر رمضان المبارك في ليالي الأحساء ها أنا أكتب وكأنني أعيش كل تفاصيل هذا الكرم العفوي الذي يمتد بين الجيران كخيط من نور يجمع القلوب ويؤلف بينها في شهر رمضان الأحساء لا تعرف معنى الأبواب المغلقة ولا تعرف الموائد المكتفية بأهلها وحدهم بل تمتد كأنها يدٌ حانية تُطعم كل من يقترب

حين يهلّ الشهر الكريم على الأحساء يتحول كل بيت إلى خلية نحل لا تهدأ تجتمع العائلات حول الموائد العامرة وتتناثر الروائح الزكية في الأجواء كأنها تبشر القلوب بموسم من الخير والعطاء وقبل أن يصدح الأذان معلنًا لحظة الإفطار تتحرك الأيدي الطيبة في كل اتجاه يخرج الأطفال من البيوت يحملون أطباقًا مغطاة بعناية وينطلقون نحو بيوت الجيران والأقارب يطرقون الأبواب بفرح فتُفتح لهم الأبواب بالابتسامات والدعوات

في كل بيت هناك قصص للطعام الذي يُهدى ليس مجرد طعام بل هو رسالة حب ودليل على الكرم الذي يسكن هذه الأرض بعض الأطباق تأتي محملة برائحة الهريس والبعض الآخر تفوح منه نكهة الثريد وهناك من يقدم السمبوس واللقيمات المغطاة بالدبس الخلاص تسير هذه الأطباق من بيت إلى آخر وكأنها رسل محبة تنقل معها طيبة القلوب وصفاء النوايا

لا أحد في الأحساء يفطر وحده ولا مائدة تكتمل دون أن تكون ممتدة لغير أصحابها فالكرم هنا ليس عادة بل فطرة وموائد شهر رمضان لا تُعد فقط لأهل البيت بل تظل جاهزة لاستقبال أي عابر سبيل أو ضيف مفاجئ وربما يجلس على المائدة شخص غريب أصبح في لحظة واحدة جزءًا من العائلة فلا يشعر أحد بالجوع ولا تمر لحظة إفطار دون أن يكون هناك من يتبادل الطعام أو يتقاسم لقمة بحب

بعد الإفطار يبدأ أهل الأحساء فصلًا جديدًا من الألفة والروحانية حيث يجتمع الناس على موائد القرآن الكريم يتلون آياته في المساجد والمجالس والمنازل ويستمعون إلى تلاوات عذبة تملأ الأجواء بالسكون والطمأنينة كبارًا وصغارًا يتحلقون حول المصاحف ينصتون بخشوع وكأن كل بيت يتحول إلى مدرسة إيمانية يحيون فيها قلوبهم بنور الذكر والعبادة وتكون هذه المجالس فرصة لتعليم الصغار فضل القرآن في رمضان ولتقوية الروابط الروحية بين أفراد العائلة والمجتمع

وأذكر في هذه المجالس الرمضانية كيف كان والدي المرحوم الحاج علي الشيخ أحمد الطويل رحمة الله عليه صوته يصدح بتلاوة القرآن في هذا الشهر المبارك كأنه نهر من النور ينساب في المجالس صوته كان يملأ المكان بخشوع وسكينة وكأن كلماته تعانق القلوب فيحييها كان يجتمع حوله الأهل والأصدقاء يستمعون

بخشوع لتلاوته التي تبعث الطمأنينة في النفوس وتضيء ليالي شهر رمضان بوهجها الإيماني وفي الشوارع تنتشر عربات البليلة والكبيدة تفوح منها روائح شهية تجذب المارة فيتجمع الناس حولها يطلبون أكواب البليلة الساخنة المتبلة بنكهاتها اللذيذة أو أطباق الكبيدة الطازجة التي تُطهى أمام أعينهم وسط أجواء رمضانية نابضة بالحياة هذه العادات ليست مجرد تفاصيل بل هي جزء من هوية المكان وامتداد لعادات الكرم التي تسكن أهل الأحساء ومع اقتراب ليلة النصف من الشهر الكريم تعيش الأحساء فرحةً خاصة حيث يبدأ الأهالي بالتهيؤ لليلة القرقيعان ذلك الفلكلور الشعبي الجميل الذي تتوارثه الأجيال بحب وتنتشر البهجة في البيوت والأحياء مع استعداد الأطفال لحمل أكياسهم الملونة وارتداء الملابس التراثية استعدادًا لهذه المناسبة التي تصادف ذكرى ولادة سبط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كريم أهل البيت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فتتعالى الأناشيد والتواشيح قرقاعون وتغمر الفرح قلوب الصغار والكبار يطرق الأطفال الأبواب مرددين تلك الكلمات التراثية فيما يستقبلهم الأهالي بالحلويات والمكسرات ويغمرونهم بالدعوات بالخير والبركة

قرقيعان وقرقيعان بين اقصير ورميضان

عطونا الله يعطيكم بيت مكة يوديكم

يا مكة يا المعمورة يا أم السلاسل والذهب

إنها ليلة تجمع بين البهجة والروحانية وتحمل في طياتها أجواء المحبة والمودة التي تميز أهل الأحساء

في الأحساء لا تكون الموائد وحدها عامرة بل القلوب أيضًا تمتد روح التكافل في كل زاوية وكل شارع في الأيام الأولى من الشهر الكريم تبدأ الأسر بتجهيز وجبات المسجد وآخر يرسل طبقًا إلى بيت يعلم أن صاحبه لا يستطيع الطهي وهناك من يدعو جاره الذي يسكن وحده ليشاركه الإفطار وكأن الشهر الكريم يجعل الجميع أقرب

وحين يحل الليل لا تتوقف معاني الكرم تظل القهوة العربية حاضرة في المجالس ومعها التمر والحلوى الرمضانية يجتمع الرجال يتحدثون عن الأيام المباركة والنساء يتهيأن لليلة جديدة من الطهي والتجهيز لصيام الغد وبين هذا وذاك يبقى الشعور بالألفة والتراحم هو ما يجعل شهر رمضان في الأحساء ليس مجرد شهر من الصيام بل فصلًا من العطاء الذي لا ينتهي

شهر رمضان في الأحساء ليس حدثًا عابرًا إنه قصة تُروى عن الكرم الذي لا ينضب والموائد التي لا تُرفع دون أن يكون لكل محتاج نصيب والبيوت التي لا تُغلق في وجه الجائع والقلوب التي لا تعرف البخل يومًا في كل عام تتكرر هذه القصة وتزداد إشراقًا كأنها تكتب نفسها من جديد بأيدي أهلها الطيبين الذين جعلوا الكرم أسلوب حياة وليس مجرد عادة.